mind
نحـــو عـــــلم اجتمـــــاع تنـــويـــري
Towards an enlightened sociology
الدراســات والأبحــاث الإنسانية والسوسيولوجية

الإطار التحليلي بين النظرية والتطبيق: الاستلاب الثقافي في المجتمعات العربية المعاصرة نموذجاً

حســـــام الــــدين فـيـاض
باحــث وأكاديمي ســوري

Framework Analysis Examples: From Theory to Practice

• مقالات في العلوم الإنسانية والاجتماعية

• حسام الدين فياض

• النظرية الاجتماعية / بناء الإطار التحليلي في البحوث النظرية الكيفية

• الإطار التحليلي بين النظرية والتطبيق: الاستلاب الثقافي في المجتمعات العربية المعاصرة نموذجاً

• نحو علم اجتماع تنويري للدراسات والأبحاث الإنسانية والسوسيولوجية

• مقال إلكتروني

• المجلد: 03 / العدد: 036

• ماردين 25 أغسطس – آب 2025

• Articles in the Humanities and Social Sciences

• HOSSAM ALDIN FAYAD

• Social Theory / Building the analytical framework in qualitative theoretical research

• The Analytical Framework Between Theory and Practice: Cultural Alienation in Contemporary Arab Societies as a Model

• Towards an Enlightenment Sociology for Human and Sociological Studies and Research

• Electronic Article

• Volume: 03 / Issue: 036

• Mardin, August 25 2025

الإطار التحليلي بين النظرية والتطبيق: الاستلاب الثقافي في المجتمعات العربية المعاصرة نموذجاً

The Analytical Framework Between Theory and Practice: Cultural Alienation in Contemporary Arab Societies as a Model

" تتطلب أي دراســـة جادة من الباحث، وضـــع **إطار تحليلي** يســـاعد على فهم وتحليل المتغيرات والتفاعلات المتعلقة بقضـية البحث، لأن هذا الإطار هو السـبيل الذي يحدد لنا كيفية الوصـول إلى تحقيق الهدف العام للبحث. " **ولأنه يعمل بمثابة المصـباح الذي ينير الطريق للباحث في اسـتكشـاف المفاهيم الأسـاسـية التي سـيبنى في ضـوئها البحث، وتحديد العلاقات بين تلك المفاهيم " " (السعدي وآخرون، 2010: 197).**

" الإطـار التحليلي ليس مجرد مكوّن في التصـــميم البحثي، بـل هو الكيـان الـذي يمنح للظاهرة المدروسة صوتاً يفصح عن منطقها العميق " **(الكاتب).**

" الإطار التحليلي هو البنية التي تُلزم الباحث بالانتقال من الوصـف إلى التفسـير، ومن الرصد إلى النقد " **(الكاتب).**

" في البحث السوسيولوجي، لا توجد ظاهرة بسيطة، بل إطار تحليلي ضعيف يعجز عن بلوغ تعقيدها " **(الكاتب)**.

- **الملخص**:

يعتبر **الإطار التحليلي أحد الركائز الأساسية في الدراسات السوسيولوجية**، إذ يشكل المنصة النظرية والمنهجية التي تمكن **الباحث من فهم الظواهر الاجتماعية وتحليلها بشكل منهجي ومنظم**. يهدف المقال إلى **تقديم قراءة معمقة لمفهوم الإطار التحليلي في العلوم السوسيولوجية، وبيان كيفية بنائه في البحوث الكيفية، مع استعراض المداخل المنهجية التي يمكن توظيفها لدراسة القضايا المجتمعية المختلفة**. وقد اعتمد المقال على **المنهج التحليلي – النقدي** في مناقشة وتحليل عناصره. وفي النهاية يتضمن المقال تطبيقاً عملياً للإطار التحليلي على **ظاهرة الاستلاب الثقافي المعاصر في الثقافة العربية**، مع تبيان **أهمية هذا الإطار** في الدراسات النظرية الحقة.

- **Abstract:**

The analytical framework is one of the fundamental pillars of sociological studies, as it constitutes the theoretical and methodological platform that enables researchers to understand and analyze social phenomena in a systematic and organized manner. This

article aims to provide an in-depth reading of the concept of the analytical framework in sociological sciences, explain how it is constructed in qualitative research, and review the methodological approaches that can be employed to study various societal issues. The article relies on the analytical-critical approach in discussing and analyzing its components. Finally, the article includes a practical application of the analytical framework to the phenomenon of contemporary cultural alienation in Arab culture, highlighting the importance of this framework in authentic theoretical studies.

- **المقدمة**:

شهدت **المجتمعات العربية** المعاصرة **تغيرات ثقافية واجتماعية متسارعة نتيجة التحولات السياسية والاقتصادية والتكنولوجية**، مما أدى إلى ظهور مظاهر متعددة من **الاستلاب الثقافي الذي يؤثر في الهوية الاجتماعية والفردية**. ولفهم هذه الظواهر، **أصبح من الضروري توظيف إطار تحليلي قوي يمكن الباحث من تفسير الظواهر الاجتماعية بدقة، وموازنة الرؤية النظرية مع الملاحظة الميدانية**. بذلك لا يقتصر **الإطار التحليلي** على جمع البيانات أو وصف الظواهر، بل يشمل تحديد المتغيرات والمفاهيم الأساسية، وفهم العلاقات

بين العناصر الاجتماعية، واستكشاف القوى الثقافية والرمزية التي تؤثر في الواقع الاجتماعي. **من هذا المنطلق، يعد الإطار التحليلي أداة مركزية تتيح للباحث السوسيولوجي إجراء تحليل منهجي وعميق للظواهر الاجتماعية المعقدة.** بناءً على ما سبق سنحاول مناقشة العناصر التالية:

أولاً- تعريف مفهوم الإطار التحليلي في البحوث النظرية (الكيفية):

يُعرف **الإطار التحليلي** بأنه مجموعة من **المفاهيم والنظريات والمنهجيات** التي يستخدمها الباحث لتفسير الظواهر الاجتماعية وتوجيه عملية البحث. يختلف الإطار التحليلي عن النظرية الاجتماعية العامة، إذ **يشكل تطبيقاً منهجياً للنظرية على قضية محددة، ويحدد المعايير التي سيتم بموجبها جمع البيانات وتحليلها في السياق السوسيولوجي**، يشمل **الإطار التحليلي ثلاثة عناصر** رئيسية: **أولاً**، المفاهيم الأساسية التي تعكس البنية الاجتماعية والثقافية للظاهرة المدروسة. **ثانياً**، العلاقات المتبادلة بين هذه المفاهيم والتي توضح ديناميات الظواهر. **ثالثاً**، الأدوات التحليلية التي تُستخدم في تفسير النتائج واستنباط الاستنتاجات النظرية. **بهذا المعنى، يصبح الإطار التحليلي منصة تمكن الباحث**

من الانتقال من مجرد وصف الظواهر إلى تحليلها وفهم أسبابها وآثارها بطريقة علمية.

كما يمكننا تعريف **الإطار التحليلي بأنه البنية النظرية والمنهجية التي يقوم عليها تفسير الظاهرة الاجتماعية عبر تحديد المفاهيم المركزية والعلاقات بينها واستحضار الخلفية النظرية التي تمنح المعنى لطبيعة المشكلة المدروسة.** فالعديد من الباحثين ينظرون إليه **باعتباره خطة تفسيرية تربط بين النظرية والسياق الواقعي**، فيما يؤكد آخرون أنه **منظومة مفاهيمية تتحكم في استيعاب الظاهرة وتموقعها داخل النسق الاجتماعي الأشمل، بينما يركز اتجاه ثالث على جانبه الإجرائي بصفته البنية التي تحدد ماهية البيانات المطلوب جمعها وكيفية تأويلها في ضوء منظور نظري معين.**

بناءً على ما تقدم يعتبر **الإطار التحليلي** بمثابة " **بوصلة** " **معرفية منهجية تجمع بين رؤى نظرية موجهة، ومفاهيم تحليلية أساسية، وعلاقات تفسيرية واضحة بين العناصر المُشكّلة للظاهرة، وآليات منهجية لضبط الملاحظة والتأويل**. وفي النهاية يمكننا استخلاص تعريف جامع **للإطار التحليلي** بأنه " **منظومة متكاملة من المفاهيم، والروابط التفسيرية، والنماذج النظرية،**

تُستخدم لتوجيه البحث وصياغة أسئلته، وضبط منهجه، وتأويل نتائجه، بهدف فهم الظواهر الاجتماعية في سياقها الثقافي- التاريخي وفق رؤية ابستمولوجية نقدية ".

ثانياً- بناء الإطار التحليلي لدراسة الظواهر الاجتماعية في البحوث النظرية (الكيفية):

يتطلب بناء الإطار التحليلي **خطوات دقيقة وممنهجة**، لا سيما في **البحوث الكيفية التي تركز على فهم العمق الاجتماعي والثقافي للظواهر**. تبدأ هذه العملية بتحديد الظاهرة أو القضية الاجتماعية، ثم استعراض النظريات ذات الصلة لتحديد المفاهيم الأساسية التي ستوجه البحث. بعد ذلك، يقوم الباحث بتحديد المتغيرات والمستويات التحليلية التي ستستخدم في جمع البيانات، مع مراعاة **السياق التاريخي والثقافي للظاهرة**. من المهم أيضاً أن يشمل **الإطار التحليلي آليات تفسير العلاقات الاجتماعية وتوضيح كيفية تأثير القوى الرمزية والثقافية في بناء السلوكيات والمواقف الفردية والجماعية**. كما ينبغي أن يكون الإطار مرناً بما يكفي لاستيعاب النتائج الميدانية الجديدة دون فقدان الصرامة النظرية.

فالبحث الكيفي (النوعي) هو نوع من أبحاث العلوم الاجتماعية التي **تجمع وتعمل مع البيانات غير الرقمية التي تسعى إلى تفسير المعنى من هذه البيانات التي تساعدنا على فهم الحياة الاجتماعية من خلال دراسة السكان أو الأماكن المستهدفة، وهو يبحث في المعرفة المحلية وتجارب الأشخاص، والمعاني والعلاقات والعمليات الاجتماعية لمجموعة من الأشخاص، وهي أقل تنظيماً في الوصف لأنها تبني نظريات جديدة، والبحث النوعي يركز على الكلمات بدلاً من الأرقام، وهذا النوع من الأبحاث يراقب العالم في بيئته الطبيعية ويفسر المواقف لفهم المعاني التي يصنعها الناس من الحياة اليومية.**

كما تتضمن معظم البحوث النوعية **أسس دراسة الظواهر**، حيث إن معظم البحوث النوعية **تحاول فهم التجارب التي يعيشها الأفراد والمعاني السلوكية والعاطفية والاجتماعية من وجهة نظرهم.** على سبيل المثال الأسئلة المفتوحة والمقابلات أمر شائع في البحث النوعي، حيث يعطي فرصة للمشاركين بالتحدث عن الموضوع بكلماتهم الخاصة بعيداً عن القيود التي تفرضها الأسئلة المنظمة في الدراسات الكمية، **فالباحث هنا لا يفسر الظاهرة، بل يفسر كيف عاش**

الأشخاص هذه الظاهرة. لكن السؤال الذي يطرح نفسه علينا ما هي خصائص الإطار التحليلي الجيد في تحليل وتفسير الظواهر المدروسة؟ في واقع الأمر، **يتوقف نجاح التحليل السوسيولوجي على قوة الإطار التحليلي الذي يوجهه،** ويمكن **الحكم على جودة** هذا الإطار **وفق عدة خصائص،** وهي كالآتي:

– الملاءمة النظرية، أي اتصال الإطار فعلياً بطبيعة الظاهرة وعدم فرض تفسير أجنبي على سياقها.

– الوضوح المفاهيمي من خلال صياغة دقيقة للمفاهيم المركزية بما يمنع الالتباس.

– الاتساق الداخلي، ويقصد به الترابط المنطقي بين مكونات الإطار بحيث يُبنى كل جزء على الآخر من دون تناقض.

– القابلية الإجرائية، أي قدرة الإطار على التحوّل من التجريد النظري إلى خطوات عملية قابلة للتطبيق الميداني.

– المرونة النقدية في تعديل نفسه وفق ما تفرزه الوقائع بشرط الحفاظ على البنية العامة.

– القدرة التفسيرية على تجاوز الوصف وتفكيك المتغيرات القوى الرمزية والاقتصادية والسياسية المتحكمة في الظاهرة.

بهذا المعنى، **لا يعد الإطار التحليلي مجرد جزء شكلي من البحث**، بل هو " **نظام تفكير** " يضبط الرؤية العلمية، ويعزز المصداقية والصرامة الأكاديمية، **ويُجنّب الباحث السقوط في الأحكام الانطباعية أو التفسيرات السطحية.**

ثالثاً- أهمية الإطار التحليلي في البحوث النظرية (الكيفية):

يعزز الإطار التحليلي **الصرامة المنهجية والوضوح المفاهيمي في الدراسات السوسيولوجية.** فهو يسمح بفصل الظواهر الاجتماعية المعقدة إلى عناصر قابلة للتحليل، وفهم العلاقات بينها بطريقة منظمة. علاوة على ذلك، يشكل الإطار التحليلي أداة لتقييم الأدلة الميدانية والنظرية، ومراجعة الفرضيات باستمرار. وبفضل هذا الإطار، **يمكن للباحث التعامل مع الظواهر الاجتماعية بموضوعية، وتجنب الانحيازات الفكرية، وتحقيق التكامل بين الملاحظة الواقعية والتحليل النظري.**

كما أن الإطار التحليلي يعزز **المهارات النقدية والابستمولوجية للباحث**، إذ يتطلب القدرة على مراجعة المفاهيم، وتفسير الظواهر ضمن سياقات متعددة، وتحليل القوى الاجتماعية والثقافية المؤثرة في السلوك الفردي والجماعي. **ومن هذا المنطلق، يصبح الإطار التحليلي منصة لتوجيه البحث الميداني والنظري على حد سواء، مع ضمان الدقة العلمية والموضوعية.**

رابعاً- المداخل المنهجية لدراسة الظواهر الاجتماعية في البحوث النظرية (الكيفية):

تعتبر **المداخل المنهجية** في البحث السوسيولوجي **أدوات مفاهيمية وإجرائية** توجه الباحث نحو تحليل الظواهر الاجتماعية وفق منطلقات نظرية وابستمولوجية مختلفة، بحيث لا يقتصر دورها على اختيار تقنيات جمع البيانات، بل يتجاوز ذلك إلى تحديد **زاوية النظر إلى الواقع الاجتماعي وطبيعة الأسئلة المطروحة وإمكانات التفسير** المترتبة عليها. **ويشكل اختيار المدخل المنهجي لحظة حاسمة في بناء الإطار التحليلي، لأنه يحدد منطق القراءة الذي ستخضع له الوقائع الاجتماعية ويمنحها معناها داخل النسق السوسيولوجي.** فالظاهرة الواحدة قد تظهر بتجليات وسياقات مختلفة طبقاً للمدخل المستخدم: **إثنوغرافي أو**

تفاعلي رمزي أو تاريخي مقارن أو نقدي ثقافي أو غيرها، وهو ما يعني أن **القراءة المنهجية ليست مجرد إجراء تقني إجرائي، بقدر ما هي موقف معرفي يحدد كيف نفهم المجتمع وكيف نفسر آلياته وتحولاته**. ومن ثم يصبح الوعي بتنوع المداخل المنهجية شرطاً أساسياً في أي **محاولة علمية تستهدف تفسير المشكلات الاجتماعية والثقافية المعقدة بعيداً عن التبسيط أو التفسير الأحادي.**

يعد **المدخل الإثنوغرافي** من أكثر المداخل قدرة على الغوص في **العوالم الرمزية للجماعات الاجتماعية من الداخل**، إذ يقوم على الملاحظة بالمشاركة وتوثيق الممارسات والخبرات اليومية كما تعاش، وليس كما تُستنتج نظرياً، وهو ما يمنح الباحث إمكانية فهم الظواهر الاجتماعية والثقافية بوصفها أنساقاً من المعنى وليس فقط سلوكيات سطحية. تتجلى قوة هذا المدخل في قدرته على التقاط التفاصيل الدقيقة لحياة الناس، من خلال **العيش بين المشاركين وجمع البيانات الكيفية (اليوميات، الملاحظات، السرديات الشفوية)**، بما يمنح البحث قدرة تفسيرية عالية. وقد **استخدم هذا المدخل** مثلاً في دراسة تحولات **الهوية الثقافية لدى الشباب العربي** في أحياء المدن الكبرى، **حيث لوحظ تبنيهم المتزايد**

لرموز ثقافية رقمية ولأنماط استهلاكية مُعولمة على حساب المرجعيات التقليدية المحلية، بما ينم عن حالة استلاب ثقافي متنامية تفرضها مراكز القوى الرمزية العالمية.

بينما يركز **المدخل التفاعلي الرمزي** على فهم الظواهر الاجتماعية من خلال تحليل معاني التفاعل بين الأفراد، باعتبار أن **الهوية والوعي والسلوك تُبنى جميعاً عبر عمليات التفاعل اليومية**، فإن خاصيته الأساسية تكمن في أنه **يفسر السلوك الاجتماعي بوصفه نتاجاً لمعانٍ مشتركة يتم تبادلها، وتعديلها، والتفاهم عليها داخل المواقف الاجتماعية.** لذلك يُستخدم هذا المدخل بكفاءة **في تحليل كيفية تشكل أنماط الاستلاب الثقافي على مستوى الهوية الفردية، إذ يتبنى الأفراد رموزاً قيمية وافدة ويعيدون إنتاجها في تفاعلاتهم عبر وسائل التواصل الاجتماعي، ما يؤدي إلى إعادة تشكيل نظرتهم لأنفسهم.** وقد مكن هذا المدخل الباحثين من تفسير التحول التدريجي للذائقة الجمالية للشباب في الدول العربية من الأزياء واللغة المحلية نحو التعابير والتقليعات العالمية الأكثر ارتباطاً بمنصات التواصل الاجتماعي مثل: **(تيك توك، وفيس بوك، وانستغرام).**

أما **المنهج التاريخي المقارن** فيُتيح فهم الظواهر الراهنة عبر تتبع جذورها وتحولاتها في سياق زمني طويل، مع مقارنتها بين مجتمعات أو فترات مختلفة بهدف إبراز أنماط التغير والثبات. يتميز هذا المدخل بأنه يكشف كيف تتشكّل البنى الاجتماعية والثقافية تحت تأثير **القوى السياسية والاقتصادية المعولمة،** ما يمنح الباحث منظوراً استشرافياً يستند إلى الماضي لفهم الحاضر. مثال ذلك استخدامه في مقارنة مدارات الاستلاب الثقافي ما بين فترة **المد الكولونيالي (الاستعماري)** في أوائل القرن العشرين والفترة الراهنة للعولمة الرقمية، حيث **أوضح الباحثون أن التبعية الرمزية قد انتقلت من فرض الأنماط عبر التعليم الاستعماري إلى أنماط الترفيه الرقمي ووسائل الإعلام العالمي اليوم.**

ومن جهة أخرى، يعتمد **تحليل المضمون الثقافي** على **فحص النصوص والخطابات والرموز المنتجة في الإعلام والأدب والفن من أجل فهم القيم والمعاني المضمَرة فيها، بوصفها أدوات لصناعة الوعي الجمعي. تكمن أهمية هذا المدخل في قدرته على تفكيك آليات الهيمنة الرمزية، مثل الطريقة التي تظهر بها المسلسلات والإعلانات العربية أنماط الحياة الغربية باعتبارها معياراً للنجاح والرقي، مما يعزز الدونية الرمزية للثقافة المحلية ويعيد إنتاج**

الاستلاب. وفي إحدى الدراسات الميدانية التي حللت مضامين الإعلانات التلفزيونية في مصر ولبنان والمغرب، تبين أن أكثر من 70٪ من **الصور الثقافية الموظفة** تتماهى مع النموذج الاستهلاكي الغربي، **ما يؤشر إلى عملية إعادة تشكيل القيم الاجتماعية بما يخدم نمطاً ثقافياً خارجياً**.

وأخيراً يعتبر **المدخل النقدي الثقافي** من المداخل الحديثة التي تركز على **كشف علاقات القوة والهيمنة** في إنتاج الثقافة، **معتبراً أن الظواهر الاجتماعية والثقافية هي نتاج صراعات رمزية بين المركز والهامش**. يقوم هذا **المدخل** على **توظيف أدوات تحليل الخطاب، ونظريات الهيمنة، ونقد الإيديولوجيا من أجل فهم كيف تُستخدم الثقافة لإعادة إنتاج السيطرة**. وتتمثل خصوصيته الأساسية في موقفه النقدي من الثقافة السائدة بوصفها " **بنية سلطوية** " تعيد تشكيل وعي الأفراد بما يتماشى مع مصالح القوى المسيطرة. في هذا الإطار، **تمت دراسة الاستلاب الثقافي العربي بوصفه نتيجة هيمنة النموذج النيوليبرالي على المجال الرمزي، مما جعل الثقافة المحلية تميل إلى ابتلاع قيم السوق والتسليع وتغليفها غطاء حداثي كاذب يُفرّغ الهويات من مضمونها**. تظهر هذه الديناميكية بوضوح في الانتقال من الإنتاج الثقافي المحلي (الشعر، التراث،

الحكاية الشعبية) إلى الاستهلاك السلعي لمنتجات ثقافية مستوردة (الغناء الإلكتروني، لغة الإعلانات، السينما الجماهيرية العالمية).

بناءً على ما تقدم، تشكل هذه المداخل في مجموعها أهمية **التعدد والتكامل المنهجي في الدراسات السوسيولوجية لفهم الظواهر المعقدة مثل الاستلاب الثقافي**، إذ إن كل مدخل يقدم زاوية تفسيرية مختلفة تسهم في بناء إطار تحليلي شامل متماسك: **فالإثنوغرافي يمنح التعمق في الحياة اليومية، والتفاعلي الرمزي يفكك المعاني الإجرائية، والتاريخي المقارن يكشف جذور الظواهر في الزمن، وتحليل المضمون يعري الخطاب، بينما النقد الثقافي يكشف علاقات القوة والأدلجة.**

إن الجمع بين هذه المداخل، **دون الوقوع في التلفيق**، يتيح للباحث بناء مقاربة ابستمولوجية حقيقية تستند إلى تحليل متعدد الأبعاد للواقع الاجتماعي والثقافي وتمنع الانزلاق نحو التبسيط أو التفسير الأحادي، مما يعزز دور الإطار التحليلي كمنصة استراتيجية موجهة للأبحاث السوسيولوجية الكيفية ذات الطابع النقدي.

خامساً- تطبيق عملي حول ظاهرة الاستلاب الثقافي المعاصر في الثقافة العربية:

يشير **الاستلاب الثقافي** عموماً في أدبيات **علم الاجتماع الثقافي** إلى **حالة فقدان الفرد أو المجتمع القدرة على التحكم في إنتاجه الثقافي والرمزي، أو تبنيه لقيم ومعايير خارجية تهيمن على هويته.** وفي العالم العربي المعاصر، يمكن **ملاحظة الاستلاب الثقافي من خلال تأثير العولمة الإعلامية والرقمية، وترويج أنماط ثقافية مستوردة تؤثر في القيم والممارسات اليومية.** فقد أظهرت نتائج **الدراسات التحليلية السوسيولوجية المعاصرة** أن **الاستخدام غير الواعي لمواقع التواصل الاجتماعي في فضاء الثقافة العربية**، قد أثر بشكل سلبي على ترسيخ **القيم الاستهلاكية ورموز ومظاهر الثقافات الأجنبية** العابرة للحدود الوطنية، مما انعكس سلباً على الممارسات الثقافية والاجتماعية لدى أفراد تلك المجتمعات وبالأخص الشباب منها، وهذا أدى بطبيعة الحال إلى حدوث **تحولات جوهرية في بنية الهوية الثقافية والاجتماعية** بعيداً عن أسس ومظاهر **الثقافة الوطنية (المحلية).**

بناءً على ما سبق يُعرف **الاستلاب الثقافي** بوصفه حالة استحواذ قوى رمزية خارجية على القدرات الذاتية للفرد أو الجماعة في إنتاج المعاني والقيم، بحيث يفقد المجتمع إمكانية توجيه مصيره الثقافي، ويتحول إلى مستهلك لما ينتج خارجه من أنماط ورموز، فتتراجع قدرته على الحفاظ على هويته وإعادة إنتاجها استناداً إلى مرجعياته الخاصة. **ويظهر الاستلاب حين تصبح الثقافة المحلية مجرد فضاء استقبال لخطابات وسلع رمزية مستوردة، يتم تبنّيها دون وعي نقدي، ما يؤدي إلى هيمنة ثقافية غير مُعلَنة تتجاوز السيطرة المادية إلى السيطرة الرمزية والإبستمولوجية**، عبر ما يسميه **بورديو** بـ " **العنف الرمزي** " الذي يُمارَس بلطف ولكنه يحفر عميقاً في الوعي والوجدان. بذلك **يأخذ مفهوم الاستلاب الثقافي طابع التضاد مع الخصوصية الثقافية**، ففعل الاستلاب يكون بهيمنة نموذج ثقافي مسيطر يمتلك مقومات القوة تجاه ثقافة ينتابها الضعف ليس لأنها تخرج عن الإطار التاريخي والمرجعية التراثية، بل لأنها تتعرض لقطيعة مع السيرورة التاريخية وهذا ما تتعرض له الثقافة العربية عموماً.

وفي **الثقافة العربية** المعاصرة، **تتجلى مظاهر الاستلاب الثقافي** في ثلاث مستويات رئيسية: **أولاً**، المستوى القيمي، حيث يتم تهميش القيم التقليدية المتعلقة

بالتضامن الأسري والمجتمعي لصالح قيم فردانية استهلاكية ومادية مستوحاة من النموذج النيوليبرالي العالمي. **وثانياً**، المستوى الرمزي – اللغوي، حيث تتعرض اللغة العربية " بمستوياتها الفصحى والمحكية " إلى ضغط لغات أجنبية مهيمنة في الفضاء الإعلامي والتقني، ما يقود إلى إعادة تشكيل المعنى داخل اللغة ذاتها. **وثالثاً**، المستوى السلوكي والذوقي، حيث باتت السلع الثقافية الغربية (الموضة، الموسيقى، المعايير الجمالية) تُستخدم كوسائل لبناء المكانة والاعتراف الاجتماعي في المجال العمومي العربي. هذه المظاهر باتت تشير إلى انتقال الثقافة العربية من موقع الإنتاج إلى موقع التلقي، في ظل ضعف مؤسسات التنشئة الثقافية والتربوية المحلية، وارتفاع وتيرة تدفق المحتوى العالمي عبر المنصات الرقمية.

وباستخدام إطار تحليلي يقوم على **المنهج الإثنوغرافي والتحليل الرمزي التفاعلي**، يستطيع الباحث تتبع الكيفية التي تتسرب بها هذه الأنماط إلى الحياة اليومية للأفراد وتُعاد إنتاجها كاختيارات " **حرة** "، في حين أنها في حقيقتها استجابات لضغوط رمزية هيكلية. فمواقع التواصل الاجتماعي مثل: **تيك توك، ونت فليكس، وانستغرام** لا تكتفي بتوفير محتوى، بل تعيد " **ضبط** " التفضيلات

الذوقية للفرد من خلال **آليات الخوارزميات والمشاهدة والإعجاب**، وهو ما يجعل هؤلاء الأفراد يعيدون تمثيل هذه **القوالب الثقافية في سلوكهم ولغتهم ومظهرهم**، فيتحولون إلى وسطاء نقل للقيم المستوردة في بيئاتهم المحلية. وبالاستناد إلى تحليل **المضمون الثقافي**، يمكن تفكيك الخطاب المرئي والإعلاني الذي يُروج لشكل معين من النجاح أو الجمال بوصفه معياراً كونياً، وهو ما يعمّق من فجوة الشعور بالنقص مقابل " **الآخر** " الغربي المهيمن ثقافياً حسب **إدوارد سعيد** في كتابه " **الاستشراق** ".

تترتب عن هذه الحالة **آثار سلبية عميقة على المستويين الفردي والمجتمعي:** فعلى **المستوى الفردي** تحدث حالة من تفكك الهوية وانقسام الذات بين ما هو محلي وما هو مرغوب مستورد، مما يُولد شعوراً بالاغتراب الداخلي وفقدان الانتماء، أما على **المستوى المجتمعي** فيقود الاستلاب إلى إضعاف التماسك الاجتماعي والقيمي، ويعيد إنتاج أشكال جديدة من التبعية السياسية والاقتصادية للآخر، عبر التبعية الثقافية الرمزية. كما يهدد هذا الاستلاب قدرة المجتمعات العربية على ابتكار نماذج تنموية نابعة من خصوصيتها الحضارية، وهو ما يرسخ داخلها خضوعاً مستمراً لمنطق التقليد والاستهلاك، لا منطق النقد والإبداع.

بناءً على ما سبق، **يعتبر الإطار التحليلي في دراسة هذه الظاهرة ليس مجرد هيكل وصفي، بل أداة نقدية لكشف علاقات الهيمنة وإضفاء الوعي على ديناميات السيطرة الناعمة التي تمر عبر الثقافة.** فالتداخل بين المقاربة الإثنوغرافية، والتحليل التفاعلي الرمزي، وتحليل المضمون الثقافي، يسمح بتشييد إطار تحليلي متعدد الأبعاد، يعطي للباحث قدرة على رصد التجليات الميدانية للاستلاب، وتحليل آلياته التفاعلية، ثم تفكيك خطابه الرمزي من الداخل. **إن القيمة الحقيقية لهذا الإطار تكمن في كونه لا يكتفي بالتفسير بل يُحرض على الوعي النقدي**، ويُسهم في إعادة فتح سؤال **الاستقلال الثقافي العربي** كجزء من **مشروع تحرر ابستمولوجي شامل.**

- **خاتمة وخلاصة نقدية** (**ابستمولوجية**):

يمكن لنا القول **إن الإطار التحليلي يمثل العمود الفقري لأي دراسة سوسيولوجية تهدف إلى تفسير وتحليل الظواهر الاجتماعية.** من خلال دمج المفاهيم الأساسية، وتحديد العلاقات بين المتغيرات، واستخدام أدوات منهجية دقيقة، يتمكن الباحث من تقديم تحليل معمق ومتوازن للواقع الاجتماعي. وإن تطبيق الإطار على الاستلاب الثقافي المعاصر في الثقافة العربية يبرز كيف

يمكن للباحث الجمع بين الرصد الميداني والتحليل النظري لفهم التحولات الثقافية المعقدة.

كما يجب على **الباحث السوسيولوجي** أن يمتلك **مهارات ابستمولوجية متقدمة، تشمل القدرة على النقد والتحليل، والربط بين النظرية والتطبيق، وفهم السياقات التاريخية والثقافية.** فالإطار التحليلي ليس مجرد أداة تقنية، **بل منصة فكرية توجه البحث، وتعزز مصداقية النتائج، وتتيح تفسير الظواهر الاجتماعية بدقة وموضوعية. ومن دون هذا الإطار، يصبح البحث عرضة للتفسيرات السطحية والانحيازات، بينما يضمن الإطار التحليلي التماسك بين النظرية والممارسة، والعمق بين الملاحظة والتحليل**، مما يجعل الدراسات السوسيولوجية أكثر فعالية وإسهاماً في فهم المجتمع.

****

– المراجع المعتمدة:

– الرشيدي، غازي. 2023. **منهج دراسة الظواهر في البحث النوعي**. ط1. مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع. الكويت.

– السعدني وآخرون، عبد الرحمن. 2010. **مدخل إلى البحث العلمي (المفاهيم، الأسس، الإجراءات، التقويم)**. ط1. دار الكتاب الحديث. القاهرة.

– الغريب، عبد العزيز. 2012. **نظريات علم الاجتماع – تصنيفاتها، اتجاهاتها، وبعض نماذجها التطبيقية من النظرية الوضعية إلى ما بعد الحداثة**. ط1. دار الزهراء. الرياض.

– بورديو، بيير. 1994. **العنف الرمزي (بحث في أصول علم الاجتماع التربوي)**. ط1. ترجمة: نظير جاهل. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء.

– بورديو، بيير. 2007. **الرمز والسلطة**. ط3. ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي. دار توبقال للنشر. الدار البيضاء.

– تشيرتون، ميل. براون، آن. 2012. **علم الاجتماع النظرية والمنهج**. ط1. العدد: 2075. ترجمة: هناء الجوهري. المركز القومي للترجمة. القاهرة،

– جيدنز، أنتوني. 2005. **علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)**. ط4. ترجمة: فايز الصياغ. المنظمة العربية للترجمة. بيروت.

– سعيد، إدوارد. 2024. **الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق**. ط3. مؤسسة هنداوي. المملكة المتحدة.

– علي حسن، ديب. 2018. **ثنائية الثقافة والإعلام من الرسالة إلى الاستلاب**. ط1. الهيئة العامة السورية للكتاب. دمشق.

– عطاوة، سليم. يحياوي، عامر. 2016. **(مفهوم الاستلاب الثقافي وأثره في الهوية لدى الشباب الجزائري) مقاربة تربوية**. مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية. المجلد:01. العدد:01. الجزائر.

– فياض، حسام الدين. 2020. **تطور الاتجاهات النقدية في علم الاجتماع المعاصر (دراسة تحليلية – نقدية في النظرية السوسيولوجية المعاصرة)**. ط1. سلسلة نحو علم اجتماع تنويري. الكتاب الأول. دار كريتار. إسطنبول.

– فياض، حسام الدين. 2022. **وجهات نظر في نظريات علم الاجتماع المعاصر (دراسة تحليلية – نقدية)** موقع الحوار المتمدن. العدد: 7395. 2022/10/08.
https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=770798

– فياض، حسام الدين. 2023. **حول مفهوم النقد الثقافي: محاولة للتأصيل**. مجلة قناص. سلطنة عمان.
https://2u.pw/keLCMCV

– فياض، حسام الدين. 2024. **بناء الإطار التحليلي؛ الاتجاهات النقدية في علم الاجتماع المعاصر نموذجاً (دراسة ابستمولوجية في النظرية السوسيولوجية المعاصرة)**. موقع أنطولوجيا.
https://alantologia.com/blogs/75547/

– فياض، حسام الدين. 2025. **الإنسانية في التأويل السوسيولوجي (رؤية المدرسة التأويلية المعاصرة للإنسان والمجتمع)**. المقال الثاني والعشرون. من كتاب **الإنسانية والمجتمع (ملامح الإنسانية في المجتمع المعاصر)**. ط1. دار الأكاديمية الحديثة. أنقرة.

– ليلة، علي. 1991. **النظرية الاجتماعية المعاصرة دراسة لعلاقة الإنسان بالمجتمع (الأنساق الكلاسيكية)**. ط3. دار المعارف. القاهرة.

– ليلة، علي. 2005. **بناء النظرية الاجتماعية، المكتبة المصرية**. ط1. الإسكندرية.

– والاس، رث . وولف، ألسون. 2011-2012. **النظرية المعاصرة في علم الاجتماع – تمدد آفاق النظرية الكلاسيكية**. ط1 (العربية). ترجمة: محمد عبد الكريم الحوراني. دار مجدلاوي. عمان.

– Appadurai, Arjun. 1996. **Modernity at Large: Cultural Dimensions of Globalization**. Minneapolis: University of Minnesota Press.

– Blumer, Herbert. 1969. **Symbolic Interactionism: Perspective and Method**. Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall.

– Bourdieu, Pierre, and Wacquant, Loïc. 1992. **An Invitation to Reflexive Sociology**. Chicago: University of Chicago Press.

- Bourdieu, Pierre. 1990. **The Logic of Practice**. Stanford: Stanford University Press.

- Emirbayer, Mustafa. 1997. " **Manifesto for a Relational Sociology** ". American Journal of Sociology 103 (2): 281–317.

- Hammersley, Martyn, and Paul Atkinson. 2019. **Ethnography: Principles in Practice**. 4th ed. London: Routledge.

- Krippendorff, Klaus. 2018. **Content Analysis: An Introduction to Its Methodology**. 4th ed. Thousand Oaks, CA: Sage Publications.

- Maxwell, Joseph A. 2013. **Qualitative Research Design: An Interactive Approach**. 3rd ed. Thousand Oaks, CA: Sage Publications.

- Tilly, Charles. 2004. **Social Movements**, 1768–2004. Boulder, CO: Paradigm Publishers.

*** د. حسام الدين فياض/ الأستاذ المساعد في النظرية الاجتماعية المعاصرة/ قسم علم الاجتماع/ كلية الآداب في جامعة ماردين– حلب سابقاً.**

باحث وأكاديمي في العلوم الثقافية واللغويات واللسانيات الاجتماعية. له عدد من المؤلفات السوسيولوجية؛ (سلسلة نحو علم اجتماع تنويري)، بالإضافة إلى العديد من الأبحاث العلمية والمقالات الفكرية التي تجمع بين النظرية السوسيولوجية والفكر الاجتماعي والثقافي النقدي المعاصر.